العدد (1956) السنة الثامنة - السبت (6) تشرين الثاني 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

تلويحة المدى

الشاعـــر و"تراثـــه"

شاكر لعيبي

ثمة بعض الصمت اليوم عن علاقة الشاعر بإرثه الشعري التاريخي، سوى القلة. نحسب أننا لسنا أول من يقدّم اقتراحاً للتفريق بين المفردتين (التراث) و(الإرث). استخدمت مفردة التراث في الأدبيات العربية القريبة بمعنى أيديولوجيّ غالباً، فصارت رديفاً للاعتزاز القوميّ الصافي بالمرويات والسرديات والكتابات الكلاسيكية التي اعتبرتْ خلاصة لروح الأمة ومجدها. وعلى الرغم من وجود آلاف المرويات والكتابات والمصنفات التي لا تتطابق مع الفكرة الثابتة عن صفاء هذا التراث ومجده، فلم تجد هذه الأيديولوجيا القومية حلاً لذلك سوى القيام باستبعاد ما لا يعجبها أو غض الطرف عنه أو التنكر له بطريقة اعتباطية، أو اعتباره ببساطة، غير موجود أصلاً. خذ مثلاً أدب الزندقة والأيروتيكا ومصطلحات عدة مثل (الحيل الفقهية) و(الخليج الفارسي) التي يستخدمها ابن خلدون، وغير ذلك الكثير. الأيديولوجيا اليسارية بطبعتها العربية قامت من جهتها بانتقاء ما يعجبها وسلطت الضوء عليه وحده، مثل حركات القرامطة والزنج والمعتزلة وحركات الهامشيين والحشاشين وما يتعلق بالحياة الاجتماعية وشروط عيش الصناع وشغيلة الأرض وما إلى ذلك.

أما (الإرث) فإنها مفردة محايدة إلى حدّ معقول، ومن دون كثافة أيديولوجية، لأنها تشير إلى جميع أنواع سرديات الماضي دون تفضيل شيء منها على آخر. إنها رديف للميراث الذي نرثه عن أجدادنا بقضه وقضيضه، دون انتقائية التراث المنتخَبة عمداً. نحن من يختار ويقرأ الإرث دون مساءلة "تراثية" مُسبَقة عن مضامينه.

بين التراث والإرث وشيجة أيضاً: إنهما يشيران إلى الماضي، الأول افتراضيّ قليلاً، والثاني له امتدادات بديهية في الحاضر. لذا يصير الأخير جزءاً من الفعل الأدبي المعاصر والكتابة الشعرية المحايثة. كم من الشعراء الجدد متحفّز ومنتبه وراغب في مقاربة هذا الإرث العريق؟. إنني أعيدُ هنا ما قد أعيدَ علي مسامعي في العشرينيات من عمري. يا للمفارقة. ففي منتصف السبعينيات كتب الراحل الشاعر يوسف الصائغ مقالة أظنها كانت بعنوان رسالة إلى شاعر شاب في أسبوعية "الفكر الجديد" يُعْلن فيها ضمن ما يُعْلن نصيحته للشاعر الجديد بأن يعود إلى تراث الشعر العربي ويقرأه، فرددتُ عليه في الصحيفة نفسها بمقالة متحمّسة بعنوان "رسالة من الشاعر الشاب إلى الشاعر الشيخ" ذكرتُ فيه، من بين أشياء أخرى، بأننا غير مُلزمين باستعراض كتب التراث التي نقرأها. كنت حينها منهمكاً في "كتاب الأغاني" للأصفهاني وليس شيئا سواه، وكنت قد استعرته من بيت أستاذي الجليل وزوج خالتي الفقيد غازي الأخرس، والد الشاعر والناقد محمد غازي الأخرس. لا نسمح لأنفسنا اليوم مثلما بالأمس أن نطالب الشعراء الجدد بأن يستعرضوا معارفهم بالإرث الشعري العربيّ.

لكن القراءة الصاحية للنصوص الشعرية والمقالات الأدبية الراهنة لا تشفّ عن اهتمام كبير بهذا الإرث، بل أنها تستخف به لصالح مقولات جاهزة عن قصيدة النثر، وطروحات عن الشعر تقلل من شأن الإرث الشعري البعيد والقريب. ولو أننا قدّمنا استشهادات موثقة لهذه العجالة في التعاطي مع الإرث الشعري لوقفنا أمام أمر جلل من الصعب دحضه بمزاعم التجاوز والحداثة والانقلاب الرقمي الواقع على وسائل الاتصال والعلاقة بالتالي مع اللغة نفسها. من أين تجيء فكرة أن العالم الرقمي قد قضى نهائيا على اللغة؟. بشكل غامض كتبت قارئة عراقية تعيش في ألمانيا في الفيس بوك تذكر أن لا ضرورةَ لقراءة ترجمات ريلكه إلى العربية لأننا في العالم الرقمي. لم نفهم من ذلك سوى الاستخفاف بعلاقتنا باللغة وإرثها الذي لا أظن أن الناطقين بالألمانية أنفسهم يستخفون به. من الظلم وضع الجميع في سلة واحدة، فإننا نعرف من هؤلاء الشعراء المحايثين، مثلنا في عشرينياتنا، من يشتغل على هذا الإرث الشعري أذكر منهم على سبيل المثال فقط أصدقائي السوري ماهر شرف الدين والتونسي صلاح بن عياد والعراقيين أحمد عبد الحسين ومحمد مظلوم. هذه أمثلة تحضر الآن إلى الذهن على الفور من بين أسماء قليلة أخرى، قليلة بالفعل ونكاد نتهمها بسلوك طريق مارق مقعّر، مناهض لعصرنا، كأن عصرنا قد قرّر أن يشيح بوجهه عن القراءة المتنوِّرة للإرث الشعري المحلي.

لو منحنا كلمة التراث معنى الاعتزاز بإرث الأمة العربية، فلا تبدو شريحة الشعراء السائدة اليوم في الميديا مهتمة بأي مجد. بل تبدو، ظاهريا في الأقل، عدمية ومن دون انتماء إلا للكلام العابر والشعر المترجَم والاعتزاز بالذات المكتفية بسعادتها الهوائية وتكلّف مجاملات اجتماعية في منتديات الاتصال الجماعيّ تحت لواء الشعر العربي.

ولو أننا منحنا كلمة الإرث معنى الميراث الواصل إلينا رغماً عنا عبر اللغة والمرويات والأشعار الكبيرة والصغيرة، الإرث الذي نرثه من أقارب ميتين كما نرث ارثاً معمارياً، بيتا، قصراً، خاناً، بناية، فإذنْ علينا التصرّف فيه بطريقة أخرى وعدم تركه نهباً لتآكل الطبيعة والزمن. هذا بالضبط موقف الأوربيين من إرثهم اليوناني والروماني الذي يعيدون قراءته وفحصه كل لحظة وبعيون متيقظة معاصرة، جدّ معاصرة حتى أنه لا يمضي شهر واحد من دون صدور كتاب عن الفلسفة اليونانية أو إعادة فحص للإرث الروماني في الشعر والعمارة والخطاب اللغوي.

لو أننا ثالثة لا نقيم اعتباراً للتراث والإرث الشعريين كليهما، ونضرب عنهما صفحاً، فإننا أمام أمر ملتبس هو التالي: لا إيمان كبيراً اليوم بالشعر نفسه، أو أن معنى الشعر قد تحوّل تحوّلاً جذرياً لم نعهده من قبل. لم تقم البراهين بعد على أمر كهذا عليه أن يطلع بمقدمات وسجالات ضرورية مُفْحِمة.

يشهد إقبالاً متزايداً على زيارتهِ ...

معرض المدى للكتاب في بابل يواصل فتح أبوابه

تواصل " المدى"، فتح أبواب معرضها المقام حالياً في جامعة بابل على قاعة مكتبة الجامعة. حيثُ حرصت " دار المدى " على تخفيض أسعار الكُتب بُغية رفع مستوى الإقبال على إقتناء الكتاب.

بشار عليوي

الحلة

وتُشارك الى جانب " المدى "،عدد من دور النشر، ويضم المعرض أكثر من العنوان في مُختلف المجالات العلمية والإنسانية والأدبية والإجتماعية، بالإضافة إلى آخر إصدارات " المدى ". وخلال تجوالنا في أجنحة المعرض،التقينا بمسؤول المعارض في دار المدى" هيثم زياد" الذي حدثنا قائلاً (هذه المرة الأُولى التي تقيم فيها " المدى " هذا المعرضَ بالتعاون مع جامعة بابل حيثُ وجدنا تعاوناً كبيراً من قبل الجامعة التي وفرت لنا جميع التسهيلات ونأمل أن يكبر حجم التعاون معها مستقبلاً كي نستطيع إقامة معرض بسعة أكبر مما موجود حالياً . بالنسبة لأسعار الكتب المعروضة في هذا المعرض فهناك تخفيضات تصل الى ٢٥ ٪) . أما الطالب " إبراهيم مرزا " فقال (ما يُلفت الانتباه في معرض المدى للكتاب،هو عدد الكُتب المعروضة . مع التنوع في العناوين والاختصاصات.نأمل من المدى أن تُقيم معارض أخرى دورية في بابل). كما التقينا أيضاً بالأكاديمي د. علي إبراهيم حيث قال (نحن نعتبر معرض المدى للكتاب هو نافذة مهمة واعتقد تنويرية في الوقت ذاتَه. وتصب في خدمة الطالب لاشتماله على تنوع في الكتب المعروضة،مما يُفيد جميع الطلبة لذا أنا أعتقد أن المعرض مهم جداً للطالب،وهُناك تخفيضات على أسعار الكُتب . ومن المهم الإشارة إلى أن أقامته ليست للتجارة فقط وإنما لفائدة الطالب). أمّا الطالبة "أيام مهاب رزاق" فقد قالت (رُغم أنني لم أجد ضالتي في المصادر التي أحتاجها في دراستي العُليا، لكن يُمكنني القول أن عناوين المعرض من الكُتب،يُمكن لها أن تُثقف الطالب،وندعو المدى إلى فتح معرض دائم للكُتب في محافظة بابل).

أحمد مختار في قصر الخليفة الناصر بالله بغرناطة

بعد جائزة "الحمراء" للإبداع في الفنون وهي جائزة برعاية الملكة البريطانية تمنحها هيئة الإبداع الإسلامية الدولية في حفل بهيج في لندن بحضور الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني وأمير ويلز، وبعد نجاح أمسيته الأولى، قدم الموسيقار احمد مختار أمسية على العود المنفرد في قصر الحمراء قصر الخليفة الناصر بالله بمدينة غرناطة قبل أيام.

رياض عبد الله

غرناطة

تضمن برنامج الأمسية إعمالاً موسيقية منها (سماعي بغداد- غياب- في الروضة- أغنية الغجر- صبا زمزم -أصابع بابلية- النهرين- رقصة البدوي - لمسات صوفية- دعاء - رثاء النخيل- اسبانيا – تقاسيم الروح) هيأ المنظمون مستلزمات العرض وأجواء العصر الأندلسي وديكوراته و ملابسه الزاهية في إحدى زوايا القصر المزخرفة والتي تزين جدرانها آيات قرآنية و قصائد مكتوبة بالعربية تعود لشعراء مجهولين، لتضفي على الموسيقى أجواء ومناخات نقلت الحضور إلى ذلك العصر والزمان.

أحمد مختار أول عازف عود عراقي وعربي يقدم أمسية في قصر الحمراء في غرناطة وللمرة الثانية، لأنه استطاع وبجدارة إن يكسب قلوب ومشاعر الحاضرين والذين اعتبروها أمسية نادرة جعلت من زيارتهم فريدة، و أمسية تستحق إن تتكرر، و أعلنت مندوبة وزارة الآثار الاسبانية السيدة مايا رافيل أن الأمسية جزء من مشروع إحياء حفلات أخرى في أماكن أثرية عديد في اسبانيا، وأضافت : أنا لسعيدة بنجاح هذه الأمسية لعازف معروف كتبت عنه الصحافة العالمية بكثير من الإعجاب ويقدم تراث العود بأمانه مع شيء من المعاصرة، حيث دفعني استماعي لمختار و متابعتي لأعماله، إن انسق من اجل استضافته وأن يكون قصر الحمراء المكان الأنسب لموسيقى العود الذي كان ضيفا ليس بالغريب على المكان وعلى المدينة.

محطات

في كلية الحقوق

سامي عبد الحميد

عندما دخلت كلية الحقوق عام ١٩٤٦ كان زميلي (يوسف العاني) قد جمع حوله مجموعة من الطلبة ليطلقوا على تشكيلتهم اسم (جمعية جبر الخواطر) وعن طريق تقديم عروض مسرحية يجبرون خواطر زملائهم الطلبة، وبذلك حظي العاني بشهرة واسعة بين الطلبة وتقدير خاص لدى دائرة الكلية وكان عدد من الطلبة الآخرين يحسدونه على ذلك. وكان (محمد منير آل ياسين) من جملة الحاسدين وأقولها بصراحة وأنا الآخر كنت منهم. وكنت أتمنى أن انتمي إلى جماعة العاني ولكنني كنت أتردد في التقرب إليهم، بل والميه بالذات حذراً من ان يأخذ تقريبي مأخذ الاحترام والجدية.

وفي منتصف عام ١٩٤٨ جاءني زميلي محمد منير وطلب مني أن أشاركه في تقديم مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) رغبة في مناقشة جماعة العاني ولاعتقاده بأنه يصلح لتمثيل دور (شايلوك) في المسرحية وبالأخص من الناحية الجسمانية.

وربما عرف بأنني شاركت في تمثيل دور في مسرحية (في سبيل التاج) التي قدمناها في قاعة الملك فيصل. أجبته بالإيجاب على طلبه ولكن تساءلت عن المخرج الذي سيقوم بإخراج المسرحية فرد علي بمحاولة اللجوء إلى احد خريجي معهد الفنون الجميلة، وبالفعل تم اختيار أستاذنا الراحل (إبراهيم جلال) وباشر أستاذنا بعمله متبرعاً واسند دور (شايلوك) إلى محمد منير صاحب المبادرة واسند الأدوار الأخرى إلى طلبة ابدوا رغبتهم بالمشاركة في العمل بعد قراءتهم أعلاناً بذلك الشأن، والظريف إن عدداً من أولئك قد أصبحوا فيما بعد ضباط شرطة وقضاة وظل آخرون يعملون في سلك المحاماة. وقدمت المسرحية في مسرح معهد الفنون الجميلة وحضرها جمع كبير من المتفرجين- الطلبة والأساتذة وفي مقدمتهم عميد الكلية (حسن علي الذنون) وأشاد الجميع بالعمل وحسن أخراجه وإتقان تقنياته وكان لاشتراكي في (تاجر البندقية) سبب في دعوتي من قبل الزميل يوسف العاني للمشاركة مع مجموعته في عروض مسرحية لاحقة ومنها (محامي زهكان) و(مجنون يتحدى القدر) وكلا المسرحيتين من تأليفه ومن إخراج(خليل شوقي) وقدمتا في مسرح دار المعلمين العالية. ولا اعرف ما آلت إليه بناية تلك الدار التي تخرج منها أبرز شعراء العراق بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وتخرجت فيها الراحلة (فخرية عبد الكريم زينب).

كان لاستجابتي لإشارات المخرج إبراهيم جلال ولأدائي المرضي لدور (انطونيو) دافع لقيامه بتشجيعي للانتماء إلى فرع التمثيل في معهد الفنون الجميلة خصوصاً وقد كان هو آنذاك من يترأس إدارة الفرع.

كنت حتى ذلك الوقت أجهل أسرار ذلك الفن السحري (فن المسرح) ولكن النشوة التي كانت تعتريني وأنا أقف فوق الخشبة الساحرة هي التي شدتني إليها وأبعدتني عن مهنة المحاماة التي كنت أنوي ممارستها بعد تخرجي في الكلية وقليلون أولئك الذين يحسون بتلك النشوة وقليلون هم الذين تجذبهم خشبة المسرح حين يعتبرونها مكاناً مقدساً والعمل عليها ضرباً من الطقوس التي ترفع بالمؤدي والمتلقي إلى مستويات روحية تبتعد بها عن مرارة الواقع وحلاوته وتحيلهما إلى واقع أسمى وأجمل وأكثر إجلالاً ولذلك يمقت المسرحيون الأصلاء كل ما من شأنه تخريب ذلك الطقس وتدنيس تلك الخشبة بالتفاهات والسخافات.

الكلمات حيوانات حزينة

عواد ناصر

١- زمن الحرب

في هذا الكوخ الصغير
حيث أقيم،
المدفأة تنطفئ بين أضلاعي
وقودها، الآن، في خزانة دبابة تزحف
نحو كوخ آخر في قرية منسية..

٢- المغني

الأغنية الوحيدة التي يحفظها ذاك المغني
لم تعجبه،
رغم أنها أعجبت كل من سمعها،
وحده يعرف
ذاك المغني
أن الأغاني الجميلة كثيرة جداً
وليست أغنيته الوحيدة سوى واحدة
منها....
فغير مهنته إلى الأبد.

٣- مزرعة الحيوانات

ثمة حيوانات كثيرة في المزرعة
الجمل غير آبه لحدبته
الخروف الذي ينتظر السكين
الحمار الخنوع
الحصان المزهو بفحولته
الفرس المفعمة بالخيلاء
الكلب الذي يمضي حياته راكضاً خلف
عظْمة ما
الأسد المغرور
الضبع الذي يقتات على الجيف
الثعلب الذي لم تعد حيله تنطلي على
أحد،
كلهم كانوا هناك
في المزرعة، يتناسلون ويأكلون بعضهم
بعضاً...
بروح ديمقراطية
ونحن نتفرج ونضحك...

٤- الأقنعة

سمعت نفسي تتمتم:
الكلمات هي وجوهنا،
التي تخفي تحتها معاني لا يعرفها أحد.
الكلمات وجوه للقتل
والحب
والصمت
والكلمات طريق للمغفرة
لكن الكلمات ذنوب غير قابلة للمغفرة
الكلمات تاريخ اللسان وهو يسجل
جغرافيا الروح...
الكلمات آنيةٌ حزينة...

٥- عمر وزينب

(أو روميو وجوليت معرّقة) ×

من فوقْ،
من شرفةٍ رمت له قبلةْ
فلتحذري، زينبْ
فتحتَ هذي الشرفةِ التي تختنقُ
الأجراسْ
في ليلها الغيهبْ
آباؤنا حرّاسْ....
من فوقْ..
رمت له منديلْ
ولم ترَ النعاس تحت شرفةٍ
قتيلْ.

• تاريخ القصيدة ٨ حزيران (يونيو) ١٩٩٠ لكنها غير منشورة.
لندن – ١ تشرين الثاني ٢٠١٠